القيم البيئية في ضوء الآيات

(الإهتمام بالماء والنظافة البيئية أنموذجاً)

زمن غانم جزل اللامي
طالبة دكتوراه، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، علوم القرآن والحديث، جامعة أزاد الإسلامية علوم تحقيقات، طهران، إيران
dr.zamanallami@gmail.com
الدكتور أحمد مراد خاني (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة أزاد الإسلامية، قم، إيران
ah.mor@iau.ac.ir
الدكتور علي رضا عسكري
أستاذ مساعد، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة أزاد الإسلامية، قم، إيران
Alireza.asgari88@gmail.com

Environmental values in the light of the verses

(caring for water and environmental cleanliness as a model)

Zaman Ghanm Jazl Allami
PhD Student, Department of Islamic Theology and Knowledge, Qur'anic and Hadith Sciences, Islamic Azad University, Investigative Sciences, Tehran, Iran
Dr. Ahmad Maradkhani (Responsible Writer)
Assistant Professor, Department of Islamic Theology and Knowledge, Islamic Azad University, Qom, Iran
Dr. Ali Reza Asgari
Assistant Professor, Department of Islamic Theology and Knowledge, Islamic Azad University, Qom, Iran

الملخص:-

إن القيم البيئية في ضوء الآيات هو عنوان بحثي الذي تضمن القيم التي تحدث بها القرآن الكريم وما جاء فيه من آيات تناولت موضوع الاهتمام بالماء الذي يعتبر شريان الحياة وأساسها، لكونه المصدر الأول للخلق كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، (الأنبياء: ٣٠)، فنظرا لأهمية الماء التي تحدث بها القرآن الكريم وكان الماء المصدر الأساس في هذا البحث فتضمن أربعة مطالب، كان الأول في بيان مفردات القيم و البيئية في اللغة والاصطلاح، والمطلب الثاني أهمية الماء في القرآن الكريم، والثالث تناول أهمية الطهارة في القرآن الكريم وعلاقتها في الماء، والرابع كان حول الطبيعة في القرآن واختلاف الألوان فيها وتناسق الخلقة، ثم الخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: القيم، البيئة، الآيات.

Abstract:-

Environmental values in the light of the verses is the title of the research, as it includes the values spoken by the Holy Qur'an and the verses in it that dealt with the issue of caring for water, which is the lifeblood and its basis, because it is the first source of creation, as in the Almighty's saying: ((And We made from water everything Hayy)) The Prophets: 30, given the importance of water spoken by the Holy Qur'an, and water was the main source in this research, so it included four demands, the first was a statement of the vocabulary of values and the environment in language and terminology, and the second requirement was the importance of water in the Holy Qur'an, and the third dealt with the importance of Purity in the Holy Qur'an and its relationship to water, and the fourth was about nature in the Qur'an and the different colors in it and the consistency of character, then the conclusion and the most important findings of the research.

Key words: values, environment, verses.

المطلب الأول

التعريفات

القيم لغة: مفردة قيمة، والقيمة: الثمن الذي يقاوم المتاع، أي يقوم مقامه والجمع القيم، مثل سدرة وسدر، وقام المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به وقومته فتقوم: عدلته فتعدل. وقومت المتاع جلعت له قيمة، ومنه القيم مصدر بمعنى الاستقامة[١].

والمراد محله عند الناس: الترغيب في اعلاء ما يكتسب من الكمالات وشيءٌ قيمي نسب إلى القيمة على لفظها لأنه لا وصف له ينضبط، بخلاف ما له وصف ينضبط به، كالحبوب والحيوان[٢].

القيم اصطلاحا: القيم اصطلاحا أي واضح القيم على سالكيه لا تخلف فيه ولا اختلاف، دينا قائما على مصالح الدنيا والآخرة، أحسن القيام لكونه مبني على الفطرة[٣]. وقيل بأن قيما أي قائما دائما بالدعوة إلى القسط والحق[٤].

البيئة لغة: الباء والواو والهمزة أصلان أحدهما: الرجوع إلى الشيء، يقال: باء إلى الشيء يبوء بوءا: رجع، والثاني: تساوي الشيئين والمراد الأول، وتطلق على المنزل والحالة والمحي، واستباء المنزل أي اتخذه مقام[٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الحج: ٢٦.

أما صاحب المفردات: ذكر أن أصل البواء مساواة الأجزاء في المكان فيقال: مكان بواء إذا لم يكن بنازلة، وبوأت له مكانا: سويته فتبوء [٦] لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ يونس: ٩٣.

البيئة اصطلاحا: البيئة تطلق في العصر الحديث: على المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، بجميع مكوناته الطبيعية والاجتماعية والثقافية و الاقتصادية...، فيؤثر فيه ويتأثر به صلاحا وفسادا[٧].

وعرف المؤتمر العالمي للبيئة: بأن البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر[٨].

المطلب الثاني

الآيات التي أشارت إلى الاهتمام بالماء

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الانبياء: ٣٠، فقد خلقه اللّه ليكون عنصرا حيويا في ارتباط الحياة به سواء في ذلك الإنسان و الحيوان و النبات و غيرهم مما أثبتته الأبحاث العلمية الحديثة، سواء في أصل الوجود أو في استمراره[٩]. وقوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ الحجر: ٢٢، إشارة لخزن ماء المطر في السحب قبل نزوله، أي إنّكم لا تستطيعون استملاك السحب التي هي المصدر الأصلي للأمطار، ويمكن حملها على أنّها إشارة إلى جمع و خزن الأمطار بعد نزولها، أي إنّكم لا تقدرون على جمع مياه الأمطار بمقادير كبيرة حتى بعد نزوله، و أنّ اللّه عزّ و جلّ هو الذي يحفظها و يخزنها على قمم الجبال بهيئة ثلوج، أو ينزلها في أعماق الأرض لتكون بعد ذلك عيونا و آبار[١٠]، كل هذا إنما يحصل بقدرة الله وحده ولأجل تسخيرها لبني البشر لأن الماء أساس كل شيء في الوجود الذي أستمد استمراره من الماء،وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(النحل: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (ابراهيم: ٣٢) ومثله سورة البقرة: ٢٢ والآية: ١٦٤منها، فالماء النازل يقصد به المطر النازل منها فإليه ينتهي الماء في الأرض الذي تعيش به ذوات الحياة من النبات و الحيوان الذي هو اساس وجودهما، وتسخير الفلك التي تسير فوق الماء الذي سُخر للناس، هو جعلها سبحانه بحيث تنفعهم في مقاصدهم و هي العبور بأنفسهم و أحمالهم و غير ذلك من غير أن ترسب في الماء أو تمتنع عن الحركة أو ترسوا في البحر أنما سيرها سبحانه بأمره، وإسناد جريها في البحر إلى أمره تعالى مع كونه مستندا إلى الأسباب الطبيعية العامة كالريح والبخار و سائر الأسباب، لكونه تعالى هو السبب المحيط الذي إليه ينتهي كل سبب[١١]. وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ و هي المياه الجارية في مختلف أقطار الأرض وتسخيرها هو تدليلها بحيث ينتفع بها الإنسان بالشرب والغسل وإزالة الأوساخ وغير ذلك و يعيش بها الحيوان و النبات المسخران له.[١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

﴿فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم: ٢٤ فتحيى الأرض بالماء النازل تصوير لطيف لأن الماء يؤمن عوامل نموّها و عناصر حركتها و حيويتها و امتدادها لأنه لا حركة ولا حياة على الأرض بدون الماء الذي أفاضه الله عيها وسر الاستمرار للحياة لقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الانبياء: ٣٠، بالإضافة إلى ذلك، يحمل معنى النعمة التي تفتح قلب الإنسان على اللّه من موقع الشكر العميق، واللفتة الروحية الحميمة، إحساسا بالعلاقة الوثيقة الدائمة باللّه التي لا مجال للاستغناء عنها، في مسألة الحياة، في كلّ مفرداتها الصغيرة و الكبيرة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فيرون في هذا التدبير الإلهي سرّ الحكمة، لا معنى الصدفة كما يدعي بذلك المقرضون[١٣]. وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ الفرقان: ٤٨-٤٩، أي لا نبات فيها ولا حياة، فتدب فيها الحياة من جديد، فيهتز العشب، وتنفتح البذور، ويخضرّ الزرع وينمو ويمتد، ويتدلى الثمر، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ وكلهم يحتاجون الماء الذي هو سرّ بقاء الحياة في الجسد، فلولاه لما أمكن للحياة أن تبقى أو تنمو وتتحرك، وذلك كله دليل عظمة اللّه في خلقه، ورحمته في نعمته، وحاجة الحياة كلها في النبات والحيوان والإنسان إليه، في تدبيره و حكمته، مما يجعل ارتباط الجميع به بالمستوى الذي يستمد كل شيء حياته منه، في البدء و الامتداد، و هذا ما يجب على الناس أن يتأملوه و يفكروا فيه، ليتعرفوا حقيقة التوحيد، في مواجهة خط الكفر و الرشد، من خلال النظرة الواعية العميقة، والتفكير الصافي المنفتح[١٤]، فلم يقتصر وجوده على الأرض فحسب بل تعداه على استمرار مكملات الحياة لدى الإنسان كوجود النبات والحيوان كما سنورد مفصلاً في المبحث القادم، كما أن كل ذلك بيد القدرة الإلهية التي لو شاءت لُمحي من الوجود لأنه القادر على ذلك ولو شاء فعل كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ المؤمنون: ١٨ فقوله تعالى: (بِقَدَرٍ) دلالة على أن الذي نزل إنما نزل على حسب ما يقتضيه التدبير التام الإلهي الذي يقدره بقدر لا يزيد قطرة على ما قدر ولا ينقص بحكمته، و فيه تلميح أيضا إلى قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١، والمعنى أنه أنزلنا من جهة العلو ماء بقدر و هو ماء المطر فأسكناه في الأرض وهو الذخائر المدخرة من الماء

في الجبال والسهول تتفجر عنه العيون و الأنهار و تكشف عنه الآبار، و إنا لقادرون على أن نذهب بهذا الماء الذي أسكناه في الأرض نوعا من الذهاب لا تهتدون إلى علمه[١٥]. ثم تشاء الحكمة الإلهية ان يُخرج لنا ماءاً عذباً نقياً من بين الرواسي التي فُجرت منها الأنهار لتجري على السهول بقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنا فيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ المرسلات: ٢٧

المطلب الثالث

الآيات التي أشارت إلى الاهتمام بالنظافة

قال تعالى: ﴿أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾ الفرقان: ٤٨

ماء طهورا أي بالغا في طهارته فهو طاهر في نفسه مطهر لغيره يزيل الأوساخ و يذهب بالأرجاس و الأحداث فالطهور صيغة مبالغة[١٦]، فمفهوم الطهارة و التطهير يعني أن الماء طاهر بذاته، و يطهر الأشياء الملوثة... ثمّة أشياء كثيرة غير الماء طاهرة، و لكنّها لا تستطيع أن تكون مطهرة لغيرها، فمضافا إلى خاصية الإحياء، فإنّ للماء خاصية كبيرة الأهمية هي التطهير، فلو لا الماء فإنّ أجسامنا و نفوسنا و حياتنا تتسخ و تتلوث في ظرف يوم واحد والماء وإن لم يكن قاتلا للميكروب عادة، ولكنّه يستطيع إزالتها وطردها بسبب خاصيته الفذة (الإذابة). ومن هذه الناحية فإنّه يقدم مساعدة مؤثرة جدّا في مسألة سلامة الإنسان ومكافحة أنواع الأمراض، مضافا إلى أن تنقية الروح من التلوث بواسطة الغسل و الوضوء تكون بالماء، إذن فالماء مطهر للروح و الجسم معا[١٧]. فقد اقترنت طهارة الإنسان بالماء باعتباره المطهر الأول الذي به تتمة لراحة الإنسان واطمئنانه النفسي والقرب الإلهي، كما أكد سبحانه وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ المائدة: ٦ فالغسل الواجب هو رعاية للجانب الصحي لجسم الإنسان، والواجب العبادي عند التقرب من الله تعالى كما ورد في سورة النساء: ٤٣، والمعنى اللغوي من صيغة المبالغة الطهور له مدلوله العلمي الذي يؤكده، حيث يقول المختصون عن ماء المطر: " يعتبر ماء المطر مقطرا مئة بالمئة فهو ناتج عن تبخر الماء من البحار وتكثفه على شكل غيوم ثم تنزل مطراً لذا هو ماء نقي تماما، ويستطيع نزع الأوساخ من على جلد الإنسان أكثر من الماء العادي، لذلك يعتبر هذا الماء

مادة معقمة ومطهرة تستخدم في الطب، وهو خالي من الفيروسات والبكتريا، وهو أيضاً ماء يمتلك خاصية امتصاص المعادن والغازات والغبار واي مادة تصادفه بنسبة كبيرة، لذلك هو مادة مطهرة للجو أيضا"[١٨]، وقد عبر عنه القرآن بكلمة طهورا، وهي مطابقة لما جاء في معناها اللغوي فالطَّهُوْرُ: "اسْمُ الماء؛ كالوَضُوْء، و كلُّ ماءٍ نَظِيفٍ: طَهُور"[١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ المدثر: ٤، وفيها اشارة إلى الاهتمام بنظافة الجسد والثياب لأنها جزء من نظافة البيئة، فقال صاحب الميزان بشأن تفسير الآية: "ظاهره تطهير الثياب من النجاسات لأن المراد تقصير الثياب لأنه أبعد من النجاسة و لو طالت و انجرت على الأرض لم يؤمن أن تتنجس"[٢٠]. وقال محمد حسين فضل الله في تفسيره، بأن المراد بذلك نظافة الثوب و طهارته من النجاسات و الأقذار، فاللّه يريد للداعية، رسولا كان أو غيره، أن يظهر بالمظهر النظيف الخالي من الأقذار، لأن الظهور بمظهر القذارة قد يبعد الناس عن احترامه، وعن الراحة في النظر إليه والانسجام معه في المجتمع، و قد يكون تفسير التطهير بتقصير الثياب، باعتبار ما يستلزمه ذلك من النظافة بارتفاعها عن قذارات الأرض"[٢١]. فالماء الذي يُعتبر هو أصل الحياة، كما ورد في الآيات أعلاه لآبد من الاهتمام به لأنه عنصرا هاماً وحيوياً في صوره المختلفة، كماء المطر والنهر والبحر وماء المحيطات والعين والبّئر والبحيرات، فقد حثت الآيات الكريمة على التنبيه والاهتمام بمصادرها والتحذير من إهمالها والإسراف فيها لأنها أساس الحياة فيجب المحافظة عليها وترشيد استهلاكها لأجل دوامها.

المطلب الرابع

الآيات التي أشارت إلى جمال البيئة والطبيعة

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ق: ٦-٩

والمراد بالنظر هنا هو النظر المقترن بالتفكير الذي يدعو صاحبه لمعرفة عظمة الخالق الذي خلق السماء الواسعة و ما فيها من عجائب مذهلة وتناسق وجمال واستحكام ونظم ودقّة. جملة وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ أي لا انشقاق فيها، إمّا أن يكون بمعنى عدم وجود النقص

والعيب وارتباك كما ذهب إليه بعض المفسّرين، أو أن يكون معناه عدم الانشقاق والانفطار في السماء المحيطة بأطراف الأرض[٢٢]، ثمّ تشير الآيات إلى عظمة الأرض فتقول: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ فإن جملة (وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ) أي لا انشقاق فيها، إمّا أن يكون بمعنى عدم وجود النقص و العيب و ارتباك كما ذهب إليه بعض المفسّرين، أو أن يكون معناه عدم الإنشقاق و الإنفطار في السماء المحيطة بأطراف الأرض، ثمّ تشير الآيات إلى عظمة الأرض فتقول: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، أجل، خلق الأرض من جهة، ثمّ اتّساعها «و خروجها من تحت الماء» من جهة اخرى، ووجود الجبال «الرواسي» عليها وارتباط بعضها ببعض كأنّها السلاسل التي تشدّ الأرض وتحفظها من الضغوط الداخلية و الخارجية و الجزر و المدّ الحاصلين من جاذبية الشمس والقمر من جهة ثالثة... ووجود أنواع النباتات بما فيها من عجائب واتّساق وجمال من جهة رابعة جميعها تدلّ على قدرته اللّامحدودة، والتعبير بـ ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ إشارة إلى مسألة الزوجية في عالم النباتات التي لم تكن معروفة كأصل كلّي حين نزول الآيات محلّ البحث، وبعد قرون وسنين متطاولة استطاع العلم أن يميط النقاب عنها. أو أنّه إشارة إلى اختلاف النباتات وأنواعها المتعدّدة، لأنّ التنوّع والاختلاف في عالم النبات عجيب و مذهل[٢٣]، فأن الله خلق الأرض وما بها من نعمة ودقة وجمال يستحق امعان النظر والفكر في هذا الكون البديع الذي يستحق الاهتمام والرعاية منا تجاه هذه النعم الكثيرة والمبهرة. ثم سبحانه يشير إلى نعمة وجود الجنات التي تسر الناظر لها بألوانها الزاهية والحبوب المختلفة التي تكون بدورها الغذاء الرئيسي للإنسان والحيوان في قوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾.

«الجنّات» هنا إشارة إلى بساتين الثمار، أمّا حَبَّ الْحَصِيدِ فإشارة إلى الحبوب التي تعدّ مادّة أساسيّة لغذاء الإنسان كالحنطة والشعير والذرّة و غيرها.

ثمّ تضيف الآية: (وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ) كلمة: «باسقات» جمع باسقة بمعنى الشجرة المرتفعة العالية و «الطلع» ثمر النخل وما يكون منه الرطب والتمر بعدئذ، وكلمة «النضيد» معناها المتراكم بشكل دقيق، والمعروف أنّ عذق النخل قبل أن ينشقّ،

يحمل داخله طلعا متراكبا متراكما و حين ينشقّ هذا الطلع يكون مذهلا وعجيبا[٢٤].

قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ البقرة:٦٩، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ يونس: ٢٤.

فمعنى: زُخْرُفَها: الزخرف: كمال حسن الشيء، وَ ازَّيَّنَتْ: تزيّنت، الله سبحانه يمثل هذه الحياة بأنها كالمطر الذي ينهمر من السماء على الأرض، فينفذ إلى أعماقها، فيتفاعل مع البذور المنتشرة فيها، فيختلط بها في عمليّة نموّ و تفاعل، فإذا به يتمثل نباتا مما يَأْكُلُ النَّاسُ من حب الزرع و ثمر الشجر وَ الْأَنْعامُ كالحشائش و غيرها، و يمتد هذا النبات حتى تزدهر به الأرض، حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها في مظهرها الرائع و حسنها العجيب وَ ازَّيَّنَتْ بحلتها الخضراء الملوّنة القشيبة [٢٥]، التي تبعث السرور والبهجة في النفس لأنها حسنة المنظر ومرتبة وتزهر بالألوان المختلفة الرائعة.

ثم يبين سبحانه الجمال والراحة التي اودعها الله في الأنعام ووصفها بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النحل: ٦، وَ مِنْها تَأْكُلُونَ بعد ذكر كلمة «المنافع»، وأقل ما يستنتج من الآية اعتبارها لأهمية الألبان أكثر بكثير من اللحوم. ولم يكتف بذكر منافعها المادية، بل أشار إلى المنافع النفسية والمعنوية كذلك حين قال: وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ؛ فـ«تريحون»: (من مادة الإراحة) بمعنى إرجاع الحيوانات عند الغروب إلى محل استراحتها، ولهذا يطلق على ذلك المحل اسم (المراح).

و«تسرحون»: (من مادة السروح) بمعنى خروج الحيوانات صباحا إلى مراعيها، عبّر القرآن بكلمة «جمال» عن تلك الحركة الجمالية للأنعام حين تسرع إلى مراعيها وتعود إلى مراحها، لما لها من جمال ورونق خاص يغبط الإنسان، والمعبر عن حقيقة راسخة في عمق المجتمع.

فحركة الإبل إضافة إلى روعتها فإنّها تطمئن المجتمع بأنّ ما تحتاجه من مستلزمات حياتك ها هو يسير بين عينيك، فتمتع به وخذ منه ما تحتاجه، فـ «الجمال» جمال استغناء

واكتفاء ذاتي، وجمال إنتاج وتأمين متطلبات أمّة كاملة، وبعبارة أوضح: جمال الاستقلال الاقتصادي وقطع كل تبعية للغير! والحقيقة التي يدركها القرويون وأبناء الريف أكثر من غيرهم، هي ما تعطيه حركة تلك الأنعام من راحة نفسية للإنسان، راحة الإحساس بعدم الحاجة و الاستغناء، راحة تأدية إحدى الوظائف الاجتماعية الهامة.

ومن لطيف الإشارة أنّ بدأت الآية أعلاه بذكر عودة الأنعام إلى مراحلها، حيث الملاحظ عليها في هذه الحال أثديتها ملأى باللبن، بطونها ممتلئة، يشاهد على وجوهها علائم الرضا و الارتياح و لا يرى فيها ذلك الحرص و الولع و العجلة، التي تظهر عليها حين خروجها في الصباح، بل تسير هادئة مطمئنة نحو محل استراحتها، و يكفيك الشعور بالغنى من خلال رؤية أثدائها[٢٦]. فهذه النعم لكي تدوم يرشدنا القرآن الكريم إلى الاعتناء بها ن خلال المأكل والمشرب والمكان الذي تكن فيه، ووقت سروحها في السهول والخضراء حيت وجود الحشائش والأعشاب التي تقتاد عليها، والاهتمام بها حين تريد الرواح والمنام وتهيئة الأمور اللازمة لها، فالقرآن يرشدنا للاهتمام بهذه النعم كونها احد دواعي العيش الرغيد للإنسان حيث فيها الغذاء من اللحوم، والدفء من حيث استخدام جلودها، والشراب السائغ لبني البشر، أضافة لذلك الزينة التي توجد فيها قبيل قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٨

فقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ وهي تتحرك في وداعة واستسلام، وتتجمع في هدوء. ويقوى إحساس الإنسان بجمالها ذاك، كونه يملكها ويرعاها في استسلامها له، ونظرتها الحانية إليه، وانقيادها له عند ما يدفعها أمامه، أو يلحقها به، وكونها جزءا من المنظر الجميل الذي تشكله في حياته[٢٧].

فإن الفقه الإسلامي يَنظُر إلى البيئة باعتبارها الكونَ المحيط بالإنسان، بما فيها من حيوان ونبات وماء عَذْب ومالِح وتُرْبة، تَشمَل الجبال والهِضاب والسهول والوديان والصخور، وعناصر مناخ مختلفة من: حرارة وضغْط ورياح وأمطار، وكائنات مختلفة، فأن الله قد أحكم خلْقَها، وأتقن صُنْعَها كمًّا ونوعًا ووظيفة؛ حيث قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨، وقال جل سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ الفرقان: ٢، وقال

أيضًا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر: ٤٩. وهذه الآيات الكريمة تعني أن البيئة الطبيعية في حالتها العادية، دون تدخُّل مُدمِّر أو مُخرِّب من جانب الإنسان، تكون مُتوازنة وجميلة ومرتبة على أساس أن كلَّ عنصرٍ من عناصر البيئة الطبيعية، قد يُخلَق بصفات محدَّدة وبحجم مُعيَّن، يَكفُل تَوزُان البيئة، كما خلقها صانعها الأول[٢٨]، الذي يُؤكِّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الحجر: ١٦ - ٢٣. ومن معاني الآيات السابقة أن الجبالَ الرواسي تُحافِظ على تَوازُن الأرض، والنبات أخرجه اللهُ بأعداد وأنواع تكون بالكم الذي يَسُد احتياجات الكائنات الحية سواء الإنسان أو الحيوان التي تتغذَّى عليه، دون إخلال بالتوازن البيئي، ومن ثَمَّ يُمكننا القول: إن مفهوم التوازن البيئي يعني: بقاء عناصر أو مكوِّنات البيئة الطبيعية على حالها كما خلَقها الله، دون تغيير جوهري يُذكَر، فإذا حدث أيُّ نقْص اضطرب تَوازُنها، بحيث تُصبح غير قادرة على إعادة الحياة بشكل عادي، وإن دلت زينة الأرض وزخرفها واختلاف الألوان ورؤية الأنعام وغيرها من النعم إنما تدل على جمال الخلقة الإلهية التي أودعها الله في هذا الخلق المتطابق المرتب لكي تكون الحياة سهلة وتتوافر فيها وسائل الراحة التي تولد الاطمئنان الذي يبحث عنه البشر، فالله سبحانه لطيف في عباده وأراد لهم عيشة كريمة هنيئة لا ملل فيها ولا ضجر، وهو سبحانه بذلك يعلمنا درسا بليغا في المحافظة عليها لأنه بدوامها تدوم الراحة النفسية والاطمئنان الذي يذهب بزوالها، فلابد من إمعان النظر فيها وشكر المنعم بها علينا لأنها هبة الخالق المحكم الذي أودعها أمانة في أعناقنا عندما قال جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنعام:١٦٥.

الخاتمة:ـ

حافظ الإسلام على البيئة عن طريق القرآن الكريم والسنة الشريفة من خلال الآيات والروايات الواردة إلينا عن طريق أهل البيت، وتم تناول بعض الموارد التي أكد عليها

القرآن الكريم في آياته في أكثر من مورد، كالحفاظ على الماء والطهارة وجمال البيئة، التي نعيش فيها كومها المكان الذ وجدنا فيه منذ الولادة إلى الممات فنلاحظ أن الآيات حثت وأكدت في أكثر من مورد لأجل بيئة متكاملة مستدامة، فيها كل ما يحتاجه الإنسان و...إلخ، من الماء والهواء والغذاء وجمال المكان ونظافته، فتركز البحث عن هذ المواضيع التي تعتبر الأساس في صلاح البيئة .

ونخلص إلى جملة من النتائج:

١. الاهتمام بالموارد الطبيعية واستخدامها بصورة صحيحة من دون إسراف وتبذير.
٢. الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع عبر مختلف الوسائل من أجل التثقيف حول المحافظة على البيئة ومواردها.
٣. اعتبار الاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها واجب عينيا على كل فرد من الأفراد و انتهاء بأكبر شخص بالدولة، وجعلها مسؤولية الجميع.
٤. جعل الاهتمام بالبيئة في كل المراحل التعليمية، سواء المدارس والجامعات.
٥. بيان الحفاظ على البيئة بما أكدت عليه الشريعة الإسلامية من خلال الآيات والروايات، لأجل أن تترسخ في الأذهان.
٦. مواكبة الأبحاث التي تعنى بأهمية البيئة وتطوريها، ونشر تلك الثقافة، لأنها من نعم الباري عز وجل علينا.

هوامش البحث

(١). ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢ ص ٤٩٦.
(٢). الطريحي، مجمع البحرين، ج ٦ ص ١٤٨.
(٣). الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧ ص ٣٩٤.
(٤). مغنية، التفسير المبين، ص ١٩١.
(٥). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١ ص ٣١٢، ابن منظور، لسان العرب، ج١ ص ٣٦.
(٦). ينظر الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١ ص ١١٧.

(٧). أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١ ص ٢٥٨.
(٨). صباريني، عالم معرفة البيئة ومشكلاتها، ص ١٤.
(٩). فضل الله، من وحى القرآن، ج١٥، ص: ٢١٩
(١٠). الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص: ٥٧
(١١). ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص: ٥٩
(١٢). الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص: ٦٠
(١٣). ينظر: فضل الله، من وحى القرآن، ج١٨، ص١١٩و١٢٠.
(١٤). فضل الله، من وحى القرآن، ج١٧، ص: ٦١.
(١٥). الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص: ٢٣.
(١٦). الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص: ٢٢٧
(١٧). الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١١، ص: ٢٧٦
(١٨). الكحيل، أنواع المياه بين العلم و القرآن، ص٨.
(١٩). الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ج٣، ص: ٤٣١.
(٢٠). ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص: ٨١.
(٢١). فضل الله، من وحى القرآن، ج٢٣، ص: ٢٠٤
(٢٢). الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ص: ١٥.
(٢٣). الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ص: ١٦
(٢٤). الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ص: ١٧
(٢٥). ينظر: فضل الله، من وحى القرآن، ج١١، ص: ٢٩٥
(٢٦). الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص: ١٣٤
(٢٧). فضل الله، من وحى القرآن، ج١٣، ص: ١٩٧
(٢٨). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن رابط المادة http://iswy.co/e2cp

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبدىء به القرآن الكريم

١. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: ناصر خسرو / طهران - إيران ١٤٠٥هـ.ق الطبعة الأولى.

٢. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٣٩٠ هـ. ق الطبعة: الثانية.

٣. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مدرسة الإمام على بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة ١٤٢١ هـ. ق الطبعة الأولى.

٤. فضل الله، محمد حسين عبدالرؤوف، من وحي القرآن، الناشر دار الملاك/ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ. ق.

٥. مغنية، محمد جواد، التفسير المبين، الناشر: دار الكتب الإسلامي، قم المقدسة ١٤٢٥ هـ الطبعة الثالثة.

٦. صاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تصحيح وتحقيق محمد حسن آل ياسين، الناشر عالم الكتب / بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٧. الكحيل، أنواع المياه بين العلم و القرآن، موقع عبد الدائم الكحيل موقع إلكتروني www.kaheel7.com

٨. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تصحيح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتب الإعلام الإسلامي /قم المقدسة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تصحيح وتحقيق جمال الدين الميردامادي، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٠. الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تصحيح وتحقيق على هلالي وعلي سيري، الناشر دار الفكر / بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١١. الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، تصحيح وتحقيق أحمد الحسيني الأشكوري، الناشر المرتضوي / طهران ـ إيران الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

١٢. أحمد مختار، عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.